على السواء وقول ابى الطيب مع سيف الدولة يذكر خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له ومن فى كفه منهم
خضاب فتعبير جرير بذى العمامة كتعبير ابى الطيب بمن فى كفه منهم قناة وكذا التعبير عن المرأة بذات
الخمار وبمن فى كفه منهم خضاب وفى بيت ابى الطيب مزيد مبالغة حيث جعل السبى للحرب منهم
كالمرأة التى فى يدها الخضاب فانها اضعف من الامة الخادمة الممرنة على العمل والسعى المتحملة
للشدائد وفيه ممعة التوجيه فانه يحتمل المدح بالشجاعة بان يحمل على من فى يده منهم قناة
كمن فى كفه منهم خضاب لسلطنة لدى الخصم ولاحتمال آخر مخرجه عن تشابه المعنيين وهو ان من فى كفه
منهم قناة ليس القناة فى كفه الا زينة لكفه ولا ياتى منه فائدة سوى الزينة كمن فى كفه منهم
خضاب اذ ليس الخضاب الا زينة وهذا وان يدل على ضعفهم لكن بالتسوية بين النساء وبينهم
فى الايضاح ولا يغرك من البيتين التشابهين ان يكون احدهما نسيبا والآخر مديحا او هجاء او فخرا
او غير ذلك فان الشاعر الحاذق اذا عمد الى المعنى المختلس لينظمه احتال فى اخفائه فغير لفظه وعدل به
عن نوعه ووزنه وقافيته ومنه اى من غير الظاهر النقل وهو ان ينقل المعنى الى محل آخر كقول البحترى
سلبوا اى ثيابهم واشرقت بشروق الشمس الدماء كائنة عليهم فعليهم حال من الدماء محمرة
اى مخلوطة بما يغير لونها فكانهم لم يسلبوا لان الدماء المشرقة صارت بمنزلة ثياب لهم وقول
ابى الطيب يبس النجيع هو الدم او ما كان الى السواد عليه اى على السيف وهو مجرد عن غمده فكانما هو
مغمد لان الدم اليابس بمنزلة الغمد فنقل ابو الطيب المعنى من القتلى والجرحى الى السيف واذا وقع هذا النقل
فى التشابهين زاده خفاء فى الاخذ ومنه اى من غير الظاهر ان يكون معنى الثانى اشمل من معنى الاول كقول
جرير اذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا لانهم يقومون مقام الناس كلهم فجعلهم
بمنزلة كل الناس هكذا ذكره الشارح بل المبادر انهم نزلوا منزلة كل الناس فى الغضب فيكون اخص
من قول ابى نواس من وجهين وقول ابى نواس كتبه الى هرون على الفضل البرمكى لكثرة افضاله حين حبسه
دام بحبسه قوله الى هرون امام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد انت على ما بك من قوة قلت
مثل الفضل بالواحد ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد فانه يعم بالخلق ولا يخفى

ان

٣٧٢

ان التفاوت الموجب لعلم الظهور العموم والخصوص سواء الاول اشمل او الثانى فالاولى ان يقال
ان يكون احدهما اشمل الا ان يقال عموم الاول يتضمن شمول الحكم لكل خاص فالاتيان بخاص من خواصه
سرقة محضة ظاهرة بل يشبه ان يكون فيه قلب لما خالف الاول وبهذا عرف ان اخذ الثانى
الاخص من معنى شمول الاول داخل فى اخذ المعنى بعينه ومنه اى من غير الظاهر القلب وهو ان يكون
معنى الثانى نقيض معنى الاول كقول ابى الشيص الخزاعى اجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك
فليلمنى اللوم جمع لائم كطالب وطلب والامر للدعاء لان المناسب الطلب على سبيل الخضوع للوم لانهم
محسنون والاولى لا يحسن لأيم كما يقتضيه المقام وقول ابى الطيب أأحبه الاستفهام للانكار فهو فى معنى
لا احبه والنفى راجع الى القيد الذى هو قوله واحب فيه ملامة لان الحال بتقدير فانا احبه ولتجويز كون
المضارع المثبت حالا الا بالواو للضرورة او على سبيل الشذوذ واما تجويز البعض الحال بالواو اذا كان مضارعا
مطلقا كما يشعر به كلام الشارح فلم يعثر عليه مع التفحص البليغ واما جعل النفى للمجموع بجعل الواو للعطف
فيه تقصير لا يراد ما يحتمل انتفاء احبه احتمالا ظاهرا وفى احبه تحبه على الاحبه التحرز عن ذكر احبه
وضمير فيه فى قوله واحب فيه كضمير احبه لكن بتقدير مضاف اى احب فى حبه على طرق فى هواك
او الى الحب المذكور فى احبه يعنى ان الملامة فيه اى فى حبه على احد الوجهين من اعدائه اى ممن
يعاديه فكيف احب اللوم مع اعدائه وقيل ان اللائمة قد يكون من احبائه الذين لا يريدون
اللوم لا يقال بدعوى حبه او المراد باعدائه من يعاديهم على ان يكون الاعداء جمع عدو بمعنى المفعول
وهو يصعب المعنى عن شوب التردد وانما بنى السبب فى البيتين على النقيضين لان الاحسن فى هذا
النوع ان يبين السبب الا ان يكون ظاهرا كما فى قول ابى تمام ونعمة معتقف جدواه احلى على اذنيه من نغم
السماع قوله جدواه مفعول معتق وقول ابى الطيب والجراحة عنده نغما سبقت قبل سيبه بسؤاله
فان كلا من التلذذ بسبق الاستماع العالم بفوت العطا قبل السؤال منشأه كرم فى غاية الكمال
وهو اظهر من ان يخفى بدون ذكره والحاصل منه ان يؤخذ المعنى ويضاف اليه ما يحسنه تحسينا ذاتيا
او عرضيا واما اذا اخذ كل المعنى ويضاف اليه ما يحسنه فهو من الاخذ الظاهر الذى الثانى فيه ابلغ كقول الافوه

Copyright © King Saud University